تحريم دعاء غير الله

من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ – ١٢٠٦ هـ)

ويليه رسالتان:

○ هل يَحرُم دم من دعا غير الله

○ بطلان قول الفلاسفة في جواز دعاء الموتى

لحفيده

الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

(١١٩٦ – ١٢٨٥ هـ)

انتقاه واعتنى به

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من علماء الإسلام ، آنس الله بهم غربة الدين ، وأحيا بهم سنة إمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، سلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة ، بسبب أشياء نهيتُ عنها بعض العوام ، من العادات التي نشئوا عليها ، وأخذها الصغير عن الكبير ، مثل عبادة غير الله ، وتوابع ذلك ، من تعظيم المشاهد وبناء القباب على القبور وعبادتها واتخاذها مساجد ، وغير ذلك مما بينه الله ورسوله غاية البيان ، وأقام الحجة ، وقطع المعذرة ، ولكن الأمر كما قال ﷺ : بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ.[2]

---

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

[2] ورد الخبر بغربة الإسلام في أربعة أحاديث صحيحة ، وهي:

الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (١٤٦) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.

فلما عظَّم العوام قَطْعَ عاداتهم[1] ، وساعدَهم على إنكار دين الله بعض من يدَّعى العلم ، وهو من أبعد الناس عنه ، إذِ العالم من يخشى الله ، فأرضى الناس بسخط الله ، وفتح للعوام باب الشرك بالله ، وزين لهم ، وصدهم عن إخلاص الدين لله ، وأوهمهم أنه من تنقيص الأنبياء والصالحين ، وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ ، لما ذكر أن عيسى عليه السلام عبد مربوب ، ليس له من الأمر شيء ؛ قالت النصارى: إنه سَبَّ المسيح وأمه ، وهكذا قالت الرافضة لِمن عرَف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم ، ولم يغلُ فيهم ؛ رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ .

وهكذا هؤلاء لما ذكرتُ لهم ما ذكره الله ورسوله وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله ، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ؛ قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء ، والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون.

ومعنى يأرز أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي».

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (١٤٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٩٨٦) ، قال: قال رسول الله ﷺ : بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبى للغرباء.

الثالث: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه الترمذي (٢٦٢٩) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

الرابع: روى أحمد في مسنده (١٨٤/١) واللفظ له ، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٩/٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس ، والذي نفس أبي القاسم بيده ؛ ليأرِزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد.

[1] أي صَعُب عليهم ذلك.

وها أنا أذكر مستندي في ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف ، فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة ، ثم نصر الله ورسوله وكتابه ودينه ، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم.

فأما كلام الحنابلة ؛ فقال الشيخ تقي الدين رحمه الله لما ذكر حديث الخوارج:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام ؛ من مَرق[1] منه مع عبادته العظيمة ، فيُعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضاً ، وذلك بأمور ، منها الغلو الذي ذمه الله تعالى ، كالغلو في بعض المشائخ[2] ، كالشيخ عدي ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ، ونحوه.

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يدعوه من دون الله ، بأن يقول: (يا سيدي فلان أغثني ، أو أجرني ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسبك) ؛ فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله أرسل الرسل ليُعبد وحده ، لا يُجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، مثل الملائكة أو المسيح أو العزير أو الصالحين أو غيرهم ؛ لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق ، وإنما كانوا يدعونهم ، يقولون ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، فبعث الله الرسل تنهى أن يُدعى أحد من دون الله ، لا دعاء عبادة ، ولا دعاء استغاثة.[3] انتهى.

---

[1] المروق هو الخروج من شيء من غير مدخله ، والمارقة الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه ، والمروق سرعة الخروج من الشيء. انظر «لسان العرب».

[2] لعل الصواب: المشايخ ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب» ، مادة: شيخ.

[3] مختصرا من «الرسالة السنية» ، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٣-٤٣٠) ، والذي نقله الشيخ منتقى من الصفحات ٣٨٣ - ٤٠٠ .

وقال في «الإقناع» في أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعاً.

وأما كلام الحنفية ، فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

النذر الذي يقع من أكثر العوام ، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً: يا سيدي ؛ إن رُد غائبي ، أو عُوفي مريضي ، أو قُضيت حاجتي ؛ فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا ؛ باطل إجماعاً ، لوجوه منها:

أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها ، أنه ظن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر ، إلى أن قال: وقد ابتُلي الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي.

وقال الإمام البزازي في «فتاويه»: إذا رأى[1] رقص صوفية زماننا هذا في المساجد ، مختلطاً بهم جهال العوام ، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام ، بل لا يعرفون الإسلام والإيمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ؛ يقول: هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم.

وأما كلام الشافعية ؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» — وهو في زمن الشارح وابن حمدان — :

لكن نبين من هذا القسم ما وقع فيه جماعة من جهال العوام ، المنابذين لشريعة الإسلام ، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء ، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين إلى الفقر ، الذي حقيقته الإفتقار من الإيمان ، من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن ، واعتقادهم في مشايخ لهم.

[1] أي إذا رأى الموحد صاحب الحق ، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو.

وأطال رحمه الله الكلام إلى أن قال:

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم أيضا ما قد عم الابتلاء به ؛ من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمُد ، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد ، يحكِي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شُهِر بالصلاح والولاية ، إلى أن يَعظُم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ، ويعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم ، وقضاء حوائجهم بالنذر لها ، وهي ما بين عيون وشجر وحائط.

وفي مدينة دمشق ، صانها الله تعالى من ذلك ، مواضع متعددة.

ثم ذكر – رحمه الله – الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قاله له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط ، قال: الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة﴾.[1]

انتهى كلامه رحمه[2] الله.[3]

وقال[4] في «اقتضاء الصراط المستقيم»: إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها ، فكيف بما هو أعظم منها: الشرك بعينه ، بالقبور ونحوها؟[5]

---

[1] رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له ، وأحمد (٢١٨/٥) ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

[2] في المطبوع: ورحمه الله ، ولعله تصحيف.

[3] باختصار من «الباعث على إنكار البدع والحوادث» ، ص ٣٤ –٣٥ ، الناشر: دار المؤيد – الرياض.

[4] أي ابن تيمية رحمه الله.

[5] نص كلامه مضبوطا رحمه الله (٦٤٩/٢) (الناشر: مكتبة الرشد – الرياض ، ط٥):

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط ؛ فقال بعض الناس: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

وأما كلام المالكية ، فقال أبو بكر الطرطوشي[1] في كتاب «الحوادث والبدع» ، لما ذكر حديث الشجرة ، ذات أنواط:

فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ، ويُعظمون من شأنها ، ويرجون البُرء والشفاء لمرضاهم من قِبَلِها ؛ وينوطون بها المسامير والخرق ؛ فهي ذات أنواط ، فاقطعوها.

وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح ، وفيه قوله ﷺ : فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة.[2]

قال في «البخاري» عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً ، إلا أنهم يصلون جميعاً.[3]

وروى مالك في «الموطأ» عن بعض الصحابة ، أنه قال:

ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة.[4]

فقال: الله أكبر! قلتم كما قال قوم موسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ ، إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم.

فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أعظم من ذلك ، من مشابهتهم المشركين ، أو هو الشرك بعينه؟

[1] هو محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي ، شيخ المالكية ، له كتاب مشهور في التحذير من البدع وهو «كتاب الحوادث والبدع» ، توفي رحمه الله سنة ٥٢٠ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٩٠).

[2] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] رواه البخاري (٦٥٠) عن سالم قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب فقلت: ما أغضبك؟

فقال: والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئا إلا أنهم يصلون جميعا.

ورواه أحمد أيضا (٥/١٩٥).

[4] رواه مالك في باب «ما جاء في النداء بالصلاة» ، عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة.

قال الـزُّهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقال:
ما أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضُيِّعت.[1]
قال الطرطوشي رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمن طُمِس الحق وظَهر الباطل ، حتى ما يُعرف من الأمر القديم إلا القبلة ؛ فما ظنك بزمانك هذا؟! والله المستعان.[2]

وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم – أعزهم الله – أن الكلام في مسألتين:
الأولى: أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله ، لا يُجعل معه أحد في العبادة والتأله ، لا ملِك ولا نبي ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك ، وأن من عظّم الصالحين بالشرك بالله فهو يُشبِه النصارى ، وعيسى عليه السلام بريء منهم.
والثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ ، وترك البدع وإن اشتهرت بين أكثر العوام ، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ، ونقل كلام العلماء ، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.[3]

أبو سهيل هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي.

[1] رواه البخاري (٥٣٠) عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضُيعت.

[2] باختصار من الصفحات ٣٧ – ٤٢ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[3] انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٤٩-٥٤).
قال مقيده عفا الله عنه: وللفائدة ؛ فهذه إضافة من كلام علماء المذاهب في بيان تحريم دعاء غير الله:
كلام علماء الحنفية
قال الشيخ محمد عابد السندي الحنفي في كتابه «طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار»:

ولا يقول: يا صاحب القبر ، يا فلان ؛ اقض حاجتي ، أو سلها من الله ، أو كن لي شفيعا عند الله ، بل يقول: يا من لا يشرك في حكمه أحدا اقض لي حاجتي هذه وحيدا كما خلقتي.

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله ما نصه: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة ، وما أجمعت الأمة ، وفي التنزيل ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾.

«سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

وبهذا قال من أئمة الحنفية المتأخرين الإمام أحمد السرهندي ، والإمام أحمد الرومي ، والشيخ سجان بخش الهندي ، ومحمد بن علي التهانوي ، ومحمد إسماعيل الدهلوي ، والشيخ محمود بن عبد الله الآلوسي ، وغيرهم.

انظر المراجع المذكور فيها إنكارهم على من دعا غير الله في «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ، ص ٤١٢ – ٤١٨ ، الناشر: دار أطلس – الرياض.

وللعلم فقد ألف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبورية ، ومن المعلوم أن الدعاء هو أكثر فعل القبوريين عند القبور التي يعظمونها لاعتقادهم فيها ، وأسماها «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» ، تقع في ثلاث مجلدات ، نال فيها رسالة الدكتوراة العالمية ، أشار فيها إلى جهود علماء الحنفية في بيان مصدر عبادة القبور ونشأة القبورية وانتشارهم ، وتحقيق أن القبورية أهل شرك ووثنية ، وجهودهم – أي علماء الحنفية – في إبطال عقائد القبورية.

ثم نقل رحمه الله مقالات جمع من علماء الحنفية في التحذير من الشرك وإبطال ثلاثين ذريعة من ذرائعه التي يتمسك بها القبورية بمُجمَلهم.

ثم ذكر رحمه الله أمثلة لغلو القبوريين في الصالحين ، وجهود علماء الحنفية في إبطاله ، فابتدأ بذكر غلوهم في النبي ﷺ ، ودعوى أنه يعلم الغيب ، وأن له تصرفا في الكون ، وأنه يسمع صوت المستغيثين ، فأبطل ذلك كله ، ثم عطف على أمثلة الغلو في غير النبي ﷺ ، كعبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم ممن تُدَّعى له الوِلاية.

كلام علماء الشافعية

قال ابن حجر الشافعي في «شرح الأربعين النووية» ما معناه أن من دعا غير الله فهو كافر.

نقله الشوكاني عنه في «الدر النضيد» ، ص ١٢١ ، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض.

وقال الشيخ أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي رحمه الله:

«وشِرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلٰهية وشرك في الربوبية ، فالشرك في الإلٰهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبّاد الأصنام وعُبّاد الملائكة وعُبّاد الجن **وعُبَّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات** ، الذين قالوا ﴿إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ويشفعوا لنا عنده ، وينالُنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قربٌ وكرامة ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلٰهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله ، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى.

وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».

«تجريد التوحيد المفيد» ، ص ٥٢ – ٥٣ ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

كلام علماء الحنابلة

قال ابن تيمية كما «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١): لم يقل أحد من علماء المسلمين أنه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى ، لا بنبي ولا بملك ولا بصالح ولا غير ذلك ، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاقه.

وقال أيضا كما في «مجموع الفتاوى» (٤٩٠/٢٧): ومن قال إن ميتا من الموتى نفيسة أو غيرها تجير الخائف وتخلص المحبوس وهى من باب الحوائج ؛ فهو ضال مشرك فإن الله سبحانه هو الذي يجير ولا يجار عليه ، وباب الحوائج إلى الله هو دعاؤه بصدق وإخلاص كما قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ ، والله أعلم.

وقال أيضا في «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص ٣٣١ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض): سؤال الميت والغائب – نبياً كان أو غيره – من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين.

وقال صاحب «الإقناع»: إن من دعا ميتا وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وإن من شك في كفره فهو كافر.

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي: إن من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: افعل لي كذا ، هو كافر بهذه الأوضاع ، ومن دعا ميتا وطلب قضاء الحوائج فهو كافر.

نقله عنه الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي في كتابه «حكم الله الواحد الصمد» ، ص ٤٤ ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وقال أيضا رحمه الله: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام ؛ عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها ، فسهُلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرِّقاع فيها: يا مولاي ، افعل لي كذا وكذا ، أو إلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عبد اللات والعزى.

نقله عنه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ص ٣٦٤-٣٦٥ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

ونقله أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» ، ص ٣٠١-٣٠٢ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «تحقيق كلمة الإخلاص»: إن قول العبد: لا إله إلا الله ، يقتضي أنه لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى ، هيبةً له وإجلالا ، ومحبة وخوفا ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله ، ونقصا في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك.

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله في «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٤٧ :

ورأيت من جملة فتاوي للقاضي أبي يعلي منها: أنه سئل عمن يقول: يا محمد ، يا علي ، فقال: هذا لا يجوز لأنهما ميتان.

وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن في «الدرر السنية» (١/٤٦٧-٤٦٨) أن المسلمون قد أجمعوا على تكفير من ارتكب الشرك الأكبر وكفر بآيات الله ورسله أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر ، كمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية ، وذكر أن هذا مجمع عليه أهل العلم والإيمان ، وأن كل طائفة من أهل المذاهب المقلَّدة يفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك ، وأن ابن حجر قد أفرد هذه المسألة بكتاب سماه: «الإعلام بقواطع الإسلام».

قال مقيده عفا الله عنه: ومن غير علماء المذاهب الأربعة فقد قال الشوكاني رحمه الله في كتابه «الدر النضيد»: اعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ؛ أمر غير ما ذكرنا ، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء ؛ من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري ما هو الشرك! وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: فجزى الله أهل العلم المهتدين خير الجزاء بما حفظوا للناس دينهم ، فإنهم كما قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم في «الدرر السنية» (١/٢١): وقد صنف العلماء في كل عصر ومصر ، في الأصول والفروع وغيرها مما لا يحصى ،

حفظا للدين والشريعة وأقول أهل العلم ، وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل والتزام أحكام الشريعة وإلزام الناس بها ، لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة ، ولولا ذلك لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله ، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سُئل الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[1] رحمهم الله تعالى:

ما قول العلماء الأعلام ، أئمة الإسلام ، فيمن يقول «لا إله إلا الله» ، ويدعو غير الله ، هل يحرم ماله ودمه بمجرد قولها أم لا؟ فأجاب:

الجواب وبالله التوفيق ، «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص وكلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، جعلها كلمة باقية في عقِبِه[1] ، وقد تضمنت ثبوت الإلٰهية لله

---

[1] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جم غفير من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

تعالى ونفيها عما سواه ، والإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وتوكلاً واستعانة ودعاء وخوفًا ورجاء ونحو ذلك.

ومعنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله ، قال الله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ ، قال جل ذكره ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ ، فدلت هذه الكلمة العظيمة مطابقةً[٢] على إخلاص العبادة بجميع أفراداها لله تعالى ، ونفي كل معبود سواه ، قال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ ، أي «لا إله إلا الله»[٣] ، فأرجع ضمير هذه الكلمة إلى ما سبق منه مدلولها ، وهو قوله ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾ ، وهذا هو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وافترضه على عباده ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانه وتقريره ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ، وقال تعالى ﴿ألر * كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾ ، قال تعالى ﴿ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾.

والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده ، من معبود ومتبوع أو مطاع.

---

[١] عقبه أي ذريته.

[٢] أي بدلالة المطابقة ، أي أن الكلام يدل عليه لأنه مطابق له.

[٣] يقصد أن الكلمة التي جعلها في عقبه ووصاهم بها هي كلمة «لا إله إلا الله».

فمن تحقق مبدأ قول هذه الكلمة العظيمة من إخلاص العبادة لله تعالى ، والبراءة من عبادة ما سواه بالجنان والأركان ، وعمِل بما اقتضته فرائض الإسلام والإيمان ؛ **كان معصوم الدم والمال**[1] ، ومن ردّ فلا ، قال تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم﴾ ، فدلت هذه الآية الكريمة على أن عصمة الدم والمال لا تحصل بدون هذه الثلاث ، لترتيبها عليها بترتب الجزاء على الشرط.

وفي الصحيح عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ قال: من قال «لا إله إلا الله» ، وكفر بما يُعبد من دون الله ؛ حرُم ماله ودمه ، وحسابه على الله.[2]

فلا بد لتصحيحها من الإخلاص لله تعالى ونفي الشرك ، كما قال الله ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ ، وقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة﴾ ، قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصًا له الدين * ألا لله الدين **الخالص** والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ ، ثم شهِد عليه بالكذب والكفر وأخبر أنه لا يهديهم ، قال تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار﴾.

وفي المتفق عليه من حديث معاذ رضي الله تعالى عنه: فإن حق الله على العباد ؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.[3]

---

[1] هذا جواب السؤال الذي تقدم به السائل للشيخ رحمه الله.

[2] رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه ، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي ، ثقة ، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي ، صحابي.

[3] رواه البخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠).

فمن تألَّه قلبه غير الله ، ودعاه من دون الله ؛ فقد أشرك بالله ، والله لا يغفر أن يشرك به ، قال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ ، وقال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ملخصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾.

وفي المتفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قيل: يا رسول الله ، أي الذنب أعظم؟

قال: أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك.[1]

وفي رواية لمسلم: أن تدعو لله ندًّا ، الحديث.[2]

والله المستعان.[3]

---

[1] رواه البخاري (٦٠٠١) ، ومسلم (٨٦).

[2] رواها مسلم برقم (٨٦) ، وهي في البخاري (٦٨٦١).

[3] انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص ١٢٠ – ١٢٢ .

الرد على من قال بقول الفلاسفة في جواز دعاء الموتى ، والتعلق بأرواحهم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة عبد الرحمٰن بن حسن:

اعلم أنه ورد من مصر جواب عن سؤال ، وذلك الجواب يتضمن القول بجواز بناء المساجد على القبور ، والتعلق بأرواح أربابها ، وحصول البركات والنِّعَم والمنافع بما يَفيض عليه من تلك الأرواح ، كما كان يعتقده عباد الأصنام المصورة بصور الملائكة والصالحين ، فتعيَّن علي وعلى أمثالي رد ذلك وإبطاله ، فأقول مستعيناً بالله ، طالباً في ذلك رضى الله وجزيل ثوابه.

الحمد لله رب العالمين ، الجواب وبالله التوفيق:

لا ريب أن الذي أجاب بهذا المجيب باطل من وجوه:

(**أحدها**) أن لفظة الاستظهار[1] بأرواح الأموات إنما أراد بها التعلق بالأموات ، والالتجاء والرغبة إليهم ، لكنه قصد أن يزخرف العبارة إضلالا للعوام والجهال ، فكم تحت هذه اللفظة من شرك ومحادة لدين الله ولإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، وقد قال تعالى ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ ، وقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ الآية ، وقال

---

١ الاستظهار هو طلب المظاهرة ، وهي النصرة والمعاونة ، وظاهر فلان فلانا أي أعانه ، والذين يقولون بجواز الاستظهار بالموتى يعنون بذلك جواز الاستعانة بهم لقضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية ، بدعائهم وطلب الحاجات منهم ، فالشيخ رحمه الله في هذه الرسالة يبين بطلان ذلك من الكتاب والسنة ، وأنه شرك أكبر بالله تعالى ، مخرج من ملة الإسلام.

تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾ ، وقال تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية.

وإقامة الوجه هو إخلاص الدين له وإفراده بجميع أنواع العبادة كما ذكره المفسرون ، والحنيف؛ المقبل على الله ، المعرض عن كل ما سواه ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المنحرفون عن التوحيد لا ريب أن الله تعالى لم يشرَعه ولا رسوله ، بل نُهِى عنه أشد النهي ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، فقد أكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته ، وبين رسوله ﷺ ما شرعه الله من دينه أتم بيان ، قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، وقد بين تعالى أصل دين الإسلام وأساسه الذي تبنى عليه الأعمال وتصح به كما قال تعالى ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

وما لم يَشْرَعْهُ الله فليس من دين الإسلام ، كما في حديث عائشة الذي في الصحيحين: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[1]

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.[2]

---

١ رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

٢ الحديث ليس في الصحيحين ولا في أحدهما ، بل رواه ابن حبان (١٧٩/١) ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وأحمد في «مسنده» (١٢٦/٤ – ١٢٧) ، وغيرهم ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

وقد بين ﷺ ما شرَعَهُ في زيارة القبور ، فثبت عنه ﷺ أنه قال:كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة.[1]

وقد شرع الله تعالى ورسوله ﷺ الدعاء للميت في الصلاة عليه وغيرها ، لأنه محتاج لدعاء الحي لانقطاع عمله.

وأما الاستظهرار بروحه فإنه لا يُعرف له معنى غير ما عبَّر به المجيب عنه من الرغبة إلى الميت ، والتعلق به ، والالتجاء إليه ، **وذلك هو أصل دين المشركين** ، ويترتب على ذلك من أنواع العبادة جُلُّها ومعظمُها ، كالمحبة والدعاء والتوكل والرجاء ونحو ذلك ، وكل هذا عبادة لا يصلح منه شيء لغير الله أبداً ، وهؤلاء الأموات ونحوهم لا قدرة لأحد منهم على أن ينفع نفسه أو يدفع عنها فضلا عن غيره كما قال الله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذًا من الظالمين﴾ ، ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يُردك بخير فلا راد لفضله﴾ الآية ، والله تعالى هو المتفرد بالخلق والتدبير والنفع والضر والعطاء والمنع ، والميت غافل عاجز ، لا يسمع ولا ينفع ، كما قال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ الآية.

وقال تعالى ﴿ ذٰلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾ الآية.

وقد قَصَرَ الله رغبةَ عباده عليه ، بل كل العبادة بأنواعها ، كما قال تعالى ﴿فإذا فرَغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ ، وقال ﴿بل الله فاعبد﴾ ، وتقديم المعمول يُفيد الحصر والاختصاص.

---

١ رواه أحمد في «مسنده» (١/١٤٥) عن علي رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند» (٢/٣٩٨): صحيح لغيره.

والشفعاء يوم القيامة لا يشفع أحد منه إلا بإذنه ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، كما قال تعالى ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ ، فهي مِلكه ، يُشَفِّعُ من شاء فيمن شاء بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له ، كما قال تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ، وقال تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وقال ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ الآية.

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مُلكٌ أو قِسطٌ منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يَبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ ، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن.

فالشفاعة لأهل الإخلاص بإذنه ، ولا تكون لمن أشرك ، وحقيقتُها أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذِن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود ، وقد بين النبي ﷺ أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص.[1] انتهى ملخصًا.

وهو سبحانه لا يرضى من عبده إلا التوحيد ، الذي هو دينه الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، كما قال تعالى ﴿قل إني أُمِرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ ، وقال تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت﴾ ، فهذا هو حكم الله الشرعي

---

١ «الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان» ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، تحقيق د. محمود حسن أبو ناجي الشيباني.

الذي حكم به على خلقه بأن يصرِفوا أعمالهم له وحده دون كل من سواه ، ولهذا قال ﴿وبذلك أمرت﴾ ، وقال في سورة يوسف ﴿أَمَرَ أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾.

فالعبد وأعماله الظاهرة والباطنة كلها مِلكٌ لله ، لا يَصلُحُ أن يُصرف منها شيء لغير الله ، فإن صرف العبد منها شيئاً لغير الله فقد وضعه في غير موضعه ، وذلك هو الظلم العظيم ، كما قال ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

وأنفع ما للعبد في معاشه ومعاده أن يُوجِّهَ وجهَهَ وقلبه إلى الله ، ويجمع همته عليه في جميع مطالبه الدنيوية والأخروية ، كما قال العارف بالله الذي استنار قلبه بآيات الله وحججه وبيِّناته:

وإذا تولاه امرؤ دون الورى طُرًّا تولاه العظيم الشان

فالعبد مضطر إلى الله ، الذي محياه ومماته له ، فهو قِبلةُ قلبِهِ ووجهِهِ ، كما أخبر عن خليله عليه السلام أنه قال ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ، وإنما شرع الله ورسوله زيارة القبور لتَذَكُّرِ الآخرة ، كما قال ﷺ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة) ، أي لتسعوا لها[1] سعيها ، ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ، فجعلوها[2] محطاً للرحال ، ومطلباً للآمال ، ومعاذاً وملاذاً ، وهذا هو الشرك الذي لم يشرعه الله ، بل شدد النهي عنه والوعيد عليه وأخبر أنه لا يغفره ، قال تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ، وقال تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ ،

---

١ أي للآخرة.

٢ أي القبور.

وقال ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ، وقال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ ، وهي[1] نكرة في سياق النهي ، فتَعُمُّ[2].

فلو جاز الاستظهار بأرواح الأموات – كما قاله هذا الجاهل بالله وبدينه – لجاز أن يستظهر العبد بالحَفظة من الملائكة ، الذين هم معه لا يفارقونه بيقين ، وهم كما وصف الله ﴿عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ ، وهذا لا يقوله مسلم أصلاً ، بل لو فعله أحد كان مشركاً بالله ، فإذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين ؛ فلأن لا يجوز في حقِّ أرواحِ الأموات التي قد فارقت أجسادها ، لا يعلم مستقرها إلا الله أولى ، قال تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يُبعثون * إلٰهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ ، وأنت ترى أكثر الناس انصرفت قلوبهم عن فَهم الحق ومعرفته بدليله ، حتى تمكنت الشبهات منهم ، فظنوها بينات ، فأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وهذا هو الواقع لا يخفى على ذوي البصائر ، وقد أنزل الله كتابه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، كما قال تعالى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبِعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً﴾ إلى قوله ﴿والله ولي المتقين﴾.

---

١ أي أحدا.

٢ أي تعم كل أحد ، فلا يجوز دعاء أي أحد غير الله تعالى.

(**الوجه الثاني**) أن رسول الله ﷺ حذَّر فيما تواتر عنه من النهي عن وسائل هذا التعلق والالتجاء بالأموات والرغبة إليهم ، فنهى عن اتخاذ القبور مساجد ، وصرَّح طوائف من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم كأصحاب مالك والشافعي بالتحريم لذلك.

وقد حكى شيخ الإسلام رحمه الله الإجماع على التحريم لذلك ، وهو الإمام الذي لا يُجارى في ميدان معرفة الخلاف والإجماع ، لما في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ، ألا وإنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك.[1]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.[2]

وفي رواية لمسلم: لعن الله اليهود والنصارى ... الحديث.[3]

وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: (لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، يحذر ما صنعوا.[4]

---

١ رواه مسلم (٥٣٢).

٢ رواه البخاري (٤٣٧) ، ومسلم (٥٣٠) ، وأبو داود (٣٢٢٧) ، وأحمد (٢٨٤/٢) ، ورواه النسائي (٢٠٤٦) بلفظ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

٣ رقم (٥٢٩).

٤ رواه البخاري (٤٣٥ ، ٤٣٦) واللفظ له ، ومسلم (٥٣١).

ولولا ذاك لأبرز قبره ، غير أنه خُشِيَ أن يتخذ مسجداً.[1]

قوله: (خُشي) تعليل لمنع إبراز قبره.

فنهى ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته ، ثم إنه لَعن وهو في السياق مَن فعله ، وذلك لأن الفتنة بالصلاة عند القبور ومشابهة عُباد الأوثان أعظم من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، وقد نهى عن الصلاة في هذه الأوقات سداً لذريعة التشبه بالمشركين التي لا تكاد تخطر ببال المصلي ، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي تدعو فاعلَها إلى الشرك الذي أصله التعظيم بما لم يُشرع ، والغلو فيها.

وقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج.[2]

---

١ هذه الجملة من كلام عائشة رضي الله عنها وعن أبيها ، قالتها عقب روايتها لحديث آخر رواه البخاري (١٣٣٠) ، ومسلم (٥٢٩) ، ونصه: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدا. وعند مسلم: مساجد.

قالت: (فلولا ذلك لأبرزوا قبره ، غير أني أخشى أن يُتَّخذ مسجدا) ، واللفظ للبخاري ، ولفظ مسلم: (غير أنه خُشِيَ أن يُتخذ مسجدا.

٢ رواه أحمد (٢٢٩/١) ، وأبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) ، والنسائي (٢٠٤٢) ، وهو حديث صحيح لغيره كما قرره الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٢٥) ، إلا لفظة «السُّرُج» فإنها ضعيفة ، ولكن هذا لا يعني أن اتخاذ السرج والمصابيح غير ممنوع ، بل هو ممنوع لكونه من مظاهر تعظيم القبور ، والذين يُسرجون القبور يقصدون بذلك تعظيم الميت بألا يكون قبره مظلما ، وهذا غلو واضح ، وقد مات النبي ﷺ وصحابته ولم يوص أحد منهم بأن يضاء قبره ، وهم أحق الناس بذلك لو كان مشروعا.

ثم إن في إيقاد السرج على القبور صرف للمال في غير فائدة ، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال ، قال ابن قدامة في «المغني» (٤٤٠/٣ – ٤٤١) (الناشر: دار هجر) ، كتاب الجنائز:

ولا يجوز اتخاذ السرج على القبور لأن فيه تضييعا للمال في غير فائدة ، وإفراطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام. انتهى مختصرا.

ومعلوم أن إيقاد السُّرُج إنما لُعِنَ فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها وجعْلِها نصباً يوفِض[1] إليها المشركون ، وكذلك اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء والصالحين.

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث أنه إذا لُعن من فعل ما هو وسيلة إلى التعظيم والغلو – وإن كان المصلي عندها ومتخذها مساجد إنما وجَّهَ وجهَهُ وقلبه إلى الله وحده – فكيف إذا وجَّهَ وجههُ إلى أرباب القبور وأرواح الأموات واقبل عليها بكُلِّيته ، وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فإنه قد صرف ما هو من خصائص الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً ، فمن جعل لله شريكًا يتلجىء إليه ويُعلِّقُ به قلبه ويوجِّهُ إليه وجههُ ويرغبُ إليه دون الله ؛ فقد جعله لله ندًا ، كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك ... الحديث. [2]

وقد بيَّن تعالى في كتابه دينه الحنيف فيما ذَكَرَ عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه ﴿قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون * إني وجَّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ، وقال تعالى ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذي تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين * وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ ، وبهاتين الآتين وأمثالهما في القرآن يُمَيِّزُ المؤمن دين المرسلين من دين المشركين ، فإقامة الوجه لله بإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها هو دين المرسلين ، وتوجيه الوجه بشيء من أنواعها لغير الله هو الشرك الذي لا يغفره الله.

---

١ أي يُسرع إليه ، ومنه قوله تعالى ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون﴾.

٢ رواه البخاري (٦٠٠١) ، ومسلم (٨٦).

وتدبَّر قوله الله تعالى في وصف أهل الإخلاص ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾ ، فالرهبة والرغبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك ؛ مختص بالله تعالى ، لا يصلُحُ منه شيء لغيره كائناً من كان.

وتأمل قولَه تعالى ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ فإنه ظاهرٌ بأن ذلك الخشوع ونحوه مختص بالله تعالى ، كما ذكر اختصاصه بالعبادة عموماً في قوله ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

ولا يخفى أن هذا المجيب قد صرف جُلَّ العبادة ومعظمها لغير الله ، وقد قال تعالى ﴿له دعوة الحق﴾ ، وقال ﴿والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قمطير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ ، فالخبير سبحانه أبطل الأكاذيب الشيطانية والتعلقات الشركية في هذه الآية ونظائرها ، فتدبر إن كنت للتوحيد طالباً ، وفي دين المرسلين راغباً.

وقد أجرى الله سبحانه العادة بوقوع الأمراض العامة والمصائب العظام في كل مدينة فيها بعض من قبور الأولياء والصالحين ، فلا يجد أهلها تأثيراً للتعلق بهم في دفع ما نَزَلَ من تلك المصائب ، وذلك برهان على أن الميت لا ينفع ولا يضر ولا يُغني عمن تعلق به شيئاً ، كما قال تعالى ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾.

(**الوجه الثالث**) أن رسول الله ﷺ نهى أمته أن يجعلوا قبره عيداً ، أخرج أبو داود[1] بسند حسن[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم.

وأخرج أبو يعلى في «مسنده» ، والحافظ الضياء في «المختارة»[3] عن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها ، فيدعو فيها ، فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبورًا ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم.[4]

وأخرج سعيد بن منصور في «سننه» عن سهل بن سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر[5] ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال: هلمَّ إلى العشاء.

فقلت: لا أريده.

فقال: مالي رأيتك عند القبر؟

فقلت: سلمت على النبي ﷺ .

---

١ رقم (٢٠٤٢).

٢ قال الألباني في تعليقه على كتاب «إغاثة اللهفان» ص ٣٥٩ (الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام):
(وهو كذلك أو أعلى) ، ثم ذكر شواهد لهذا الحديث.

٣ يعني كتابه «الأحاديث المختارة».

٤ رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦١/١) رقم (٤٦٩) واللفظ له ، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٥٤١) ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨) ، ورواه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٢٠) ، وقال الألباني في تحقيقه عليه: حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وقد خرجتها في «تحذير الساجد».

٥ أي قبر النبي ﷺ .

فقال: إذا دخلت المسجد فسلِّم ، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلُّوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) ، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.[1]

فهذا علي بن الحسين أفضل التابعين من أهل البيت ، والحسن بن الحسن سيد أهل البيت في زمانه ، لم يفهما من نهي النبي ﷺ بقوله (لا تتخذوا قبري عيداً) إلا نهي أمته عن اعتياد المجيء إلى قبره وملازمته ، لأن الصلاة عليه تبلغه ﷺ من المصلي وإن كان بعيداً عن قبره ، ولما في ذلك النهي من سد الذريعة عن العكوف عند القبر وتعظيمه بما لم يُشرع.

والعكوف عبادة شرعها رسول الله ﷺ في المساجد تقرُّبًا بها إلى الله ، فلا يجوز أن يُفعل ما هو مشروع في المساجد عند القبور ، فإن الملازمة والعكوف عندها ذريعة قريبة إلى عبادتها ، فتعظيمها بما لم يشرَعه الله ورسوله غلو ، **والغلو أعظم وسائل الشرك**.

والذي فهمه هٰذان السيدان الجليلان هو الذي فعله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، فإنَّ الثابت عنهم المتواتر أنهم كانوا إذا دخلوا المسجد صلَّوا على النبي ﷺ واكتفوا بذلك عن المجيء إلى قبره ﷺ ، وذلك لعلمهم بما شرعه الله ورسوله ، وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا قَدِمَ من سفر سلم على النبي ﷺ ثم على أبي بكر ثم على أبيه ثم انصرف.[2]

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٠/٢) واللفظ له ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨) ، ورواه أبو يعلى (٣٦١/١) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (٢٠) ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تحقيقه له فقال: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

٢ رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨/٨ – ٨٩) برقم (٣٨٥٤) ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٧٢٤).

فهذا حال الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أشدُّ الناس تمسكاً بالسنة ، وأعلم الناس بما يجوز وما لا يجوز.

قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمهم الله تعالى: ووجه الدلالة من هذا الحديث أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عن اتخاذه عيداً ، فغيره أولى.[1]
قال: والعيد ما يُعتاد قصده ومجيئه من مكان أو زمان.[2]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد حرَّف هذه الأحاديث بعضُ من أخذ شَبَهًا من من النصارى بالشرك ، وشبهًا من اليهود بالتحريف ، (فقال: هذا أمرٌ بملازمة قبره ، ونهيٌ أن يُجعل كالعيد الذي يكون في العام مرةً)[3] مراغمةً لما قصده الرسول ﷺ وقلبًا للحقائق ، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة دون الشرك أسهلُ إثماً وأخفُّ عقوبةً من تعاطي مثل ذلك في دينه وسُنته ، ولو أراد الرسول ﷺ بقوله (لا تجعلوا قبري عيداً) الأمر بملازمة قبره واعتياد قصده لما نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ، ولَعَنَ من فعل ذلك ، ولمَا قال ذلك أعلمُ الخلق به[4] (ولولا ذلك لأُبرِزَ قبره ، غير أنه خُشِيَ أن يُتخذ مسجداً).[5] انتهى.

---

١ انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٢٣).

٢ انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٣٢٥).

٣ ما بين القوسين ليس في المطبوع من النسختين ، ولأنه لا يُفهم الكلام بدونه فقد أثبتُّهُ.

٤ يقصد عائشة رضي الله عنه ، وقد تقدم تخريج كلامها.

٥ «إغاثة اللهفان» ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ ، باختصار وتصرف. (تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام)

قلت: وفي هذه الأحاديث ما يُبطل هذا التحريف الذي أشار إليه العلامة ، كتحريف شارح «المشارق» ، فإن قوله ﷺ (لا تتخذوا قبري عيداً) مسبوقٌ وملحوقٌ بما يُبيِّن معناه ، كقوله (وصلُّوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) ، وكقوله في الحديث الذي رواه الحسن بن الحسن (لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ، وغير ذلك مما هو ظاهر يُبين مراده ﷺ أنه خَشي على أمته تعظيم القبور والغلو فيها ، كما في «الموطأ» عن عطاء بن يسار[1] أن رسول الله ﷺ قال (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[2] ، وهذا الحديث صريحٌ في بيان مراد النبي ﷺ بالجملة الأولى من الحديث والجملة الثانية ، فقد حَمى ﷺ حِمى التوحيد.

ومثلُ هذه الأحاديث قوله ﷺ : لا تُطروني[3] كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[4]

---

١ في المطبوع: (أبي رباح) ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، فلعله خطأ في النسخ.

٢ رواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة (١٧٢/١) عن عطاء بن يسار مرسلا ، وقد وصله البزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٠/١) فرواه عن عطاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي سنده عمر بن صبهان ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١/٢): وقد اجتمعوا على ضعفه.

قلت: وفي غيره من الأحاديث الصحيحة غنية إن شاء الله تعالى.

ولكن يشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه أحمد (٢٤٦/٢) ، وأبو يعلى (٦٦٨١) والحميدي في «مسنده» (٤٤٥/٢) ، ونصه: اللهم لا تجعل قبري وثنا ، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. واللفظ لأحمد.

وهذا الحديث صححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» ص ١٨ ، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

وانظر ما قاله الألباني في حاشيته على «إغاثة اللهفان» ، ص ٣٥٥ .

٣ الإطراء هو المبالغة في المدح.

٤ رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له ، وأحمد (٢٣/١).

فقد عرفتَ مما تقدم أن من أعظم أسباب الشرك تعظيم القبور والعكوف عندها ، ولا ريب أن ذلك يُفضي إلى الإلتجاء إليها ، والتعلق بها ، والرغبة إليها ، ونحو ذلك من المحبة ، وخطابها بالحوائج ، وغير ذلك مما لا يمكن عدُّهُ كالخشوع والبكاء والنَّحيب ، رغبة ورهبة إليها ، **وهذا هو العبادة التي قصرها الله تعالى عليه دون كلِّ من سواه** ، قال الله تعالى ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلٰهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون﴾ ، وقوله ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون﴾ ، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير﴾ الآيات.

فتدبر هذه الآيات وما فيها من البيان والحجة القاطعة على أن كل من وجَّهُ وجهه وقلبه إلى غير الله فهو مشركٌ شركاً ينافي الإخلاص ، وتأمل ما فيها من اختصاص الرب تعالى بجميع أنواع العبادة ، كالالتجاء والتعلق والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة والله المستعان.

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «كافيته» إذ يقول:

ولقد نهى ذا الخلقِ عن إطرائه ... فِعلُ النصارى عابدي الصلبان

ولقد نهانا أن نُصَيِّر قبره ... عيداً حذارِ الشركِ بالرحمٰن

ودعا بأن لا يُجعل القبر الذي ... قد ضمَّه وثناً من الأوثان

فأجاب ربُّ العالمين دعاءه ... وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه ... في عزة وحماية وصِيان

ولقــد غــدا عنــد الوفــاة مصــرِّحاً بـــاللعن يصـــرخ فـــيهم بـــأذان

وعَنَـى الأولـى جعلـوا القبـور مسـاجداً وهـــم اليهـــود وعابـــدوا الصـــلبان

والله لـــــو لا ذاك أُبـــــرِز قبـــــره لكـــــنهم حجبـــــوه بالحيطـــــان

قلت: والآيات المحكمات أصرحُ شيء وأوضحه في بيان حقيقة الشرك في الإلٰهية ، وهو صرفُ العبد شيئاً من أنواع العبادة التي يصلح التقرب بها إلى الله فيتقربُ بها إلى غيره ، فإن العبادة بجميع أنواعها حقٌّ لله ومختصة به ، وكذلك هذه الأحاديث المذكورة ونحوها أبينُ شيءٍ وأجلاه في تحريم وسائل هذا الشرك ، لكن الكثير من متأخري هذه الأمة وقعوا في هذا الشرك لـمَّا طال عليهم الأمد وبَعُدوا عن عصر سلف هذه الأمة وزمن أتباعهم من الأئمة ، الذين أجمع العلماء من أهل السنة على هِدايتهم ودِرايتهم ، فانتشرت البدع بعدهم ، والتبس الحق بالباطل بظهور علم الكلام والفلسفة ، فيالها مصيبة[1] ما أعظمها.

فلما استمكنت أصول تلك البدع في قلوب من ينتسب إلى العلم من المتأخرين ؛ حاولوا صرف المعنى الذي دلت عليه النصوص وأراده الله ورسوله بالنهي عنه والتغليظ فيه إلى ضروب من التحريف فرارًا من أن يَدخل الواقع منهم تحت ذلك النهي ، فلما لبَّسوا لُبِّس عليهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا﴾.

---

١ هكذا في المطبوع في النسختين ، ولعل الأولى (فيالها من مصيبة).

(**الوجه الرابع**) أن هذا الذي يدعيه المُجيب من الاستظهار[1] بأرواح أهل القبور لا حقيقة له ، فإنه اعتقاد فاسد من تضليل الشيطان لجهال الأمة ، وإلا فمِن أين لهذا المُدعي أن الأرواح تنزل كذلك وقد عرفتَ أن التعلق بها وعبادتها شرك بالله ، وهذا من التخييلات الشيطانية الشركية بلا ريب ، نظير ما ادعاه المشركون في قولهم في معبوداتهم ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ، قال الله تعالى ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، فأكذبهم الله في دعواهم هذه ، وبيَّن أنه لا حقيقة لها ، وأن اتخاذهم شفعاء من دون إذنه شركٌ نزه نفسه عنه ، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير ، كقوله تعالى ﴿أفمَن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا بما لا يعلم في الأرض بظاهر من القول﴾ الآية ، فأخبر تعالى عن أهل الشرك أنهم يدَّعون في معبوديهم أشياء لا حقيقة لها في الخارج أصلاً ، وإنما هي تصورات وخيالات ذهنية شيطانية ، ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ، وقوله ﴿أمَّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

ولقد بيَّن تعالى في كتابه دينه وأمرَه الشرعي في آيات كثيرة ، من ذلك ما ذَكر عن نبيه يوسف عليه السلام من قوله ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

---

١ تقدم الكلام على معنى الاستظهار في بداية هذه الرسالة وأنه طلب العون والنصرة.

وقد عرفتَ مما تقدم أن الله تعالى قصر أنواع العبادة من خلقه عليه ، ولم يأذن لهم أن يصرفوا منها شيئًا لغيره أصلاً ، كما في فاتحة الكتاب ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ، وتوحيد الإلٰهية من اسمه تعالى (الله)[1] ، فهذا الاسم الأعظم دلَّ على أنه سبحانه هو المألوه المعبود ، كما ذَكر في «الدُّر المنثور»[2] وغيره عن ابن عباس قال: معنى (الله) أي: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.[3]

فمن تدبر هذه الآيات ونظائرها علم أن هؤلاء القَبوريين المفتونيين بالأموات قد خالفوا ما أمرهم الله تعالى به من إفراده بالألوهية والعبودية الخاصة له ، فتألهت قلوبهم غيره ، وتعلقت أفئدتهم بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، قال الله تعالى ﴿ذلك الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ الآية ، وتقدَّمتْ[4].

وقال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

فتأمل هذه الآية وما فيها من البيان والبرهان على ضلالِ من وجَّهَ وجهَهُ وقلبَهُ لغير الله بأي نوع كان من أنواع العبادة ، وهذا لا يخفى إلا على من عميت بصيرته ، وضل سعيه ، وفسَد فهمه ، ﴿ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾.

---

١ أي أنه مشتق من اسمه تعالى (الله).

٢ انظر كلامه في تفسير البسملة من سورة الفاتحة.

٣ رواه ابن جرير في تفسير البسملة من سورة الفاتحة.

٤ أي أن هذه الآية قد تقدم ذكرها.

(**الوجه الخامس**) أن المجيب[1] ومن يقول بقوله إنما وجَّهوا وجوههم وقلوبهم إلى أرواح الأموات ، وقد فارقت تلك الأرواح أجسادها ، لا يَعلم أين صارت ولا إلى ما صارت إلاَّ الله ، إلاَّ ما ورد أن أرواح الشهداء والسعداء تسرح في الجنة ، وقد جعل الله موتهم دليلاً وبرهاناً على بطلان عبادتهم ، قال الله تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾.

ولا ريب أن من له بصيرة يعلم أن الميت لا شعور له بحاله ، فكيف بغيره ، وقد تقدم دليله ، فبطَلَ بهذه الآيات المحكمات وما في معناها كل ما تعلق به المشركون من طلبٍ وأملٍ ورجاءٍ ورغبةٍ صرفوه لغير الله ، وبيَّن تعالى أن ذلك يعود عليهم وبالاً في الدار الآخرة ، نعوذ بالله من ضلال السعي والخيبة والخسران ، ولقد أحسن من قال:

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

(**الوجه السادس**) أن المجيب أجاب بما يخالف مطلوب السائل ، فإن السائل إنما طَلب منه قول الأئمة الذين يُرجع إليهم في أصول الدين وفروعه ، ممن أجمع أهل السنة على هدايتهم ودرايتهم وعلمهم وصدقهم وتمسكهم بالحق ، وهم كثيرٌ في القرون المفضلة وبعدها ، ولم يَسأله عن قول من لا يُعرف بعلمٍ ولا ثقةٍ ولا صدقٍ ولا عدالةٍ ، وكلامه الذي نقله عن المجيب من شرحِهِ كلامُ محرِّفٍ للسنة ، قد دخل في الكلام المذموم والفلسفة ، ومثلُ هذا لا يَحتج بقوله من له أدنى فهم ومعرفة بأحوال العلماء.

فسبحان الله يا هذا! كيف تقلد في دينك من لا يُعرف بعلم ولا صدق وأمانة وعدالة؟

---

١ أي المجيب على سؤال السائل ، والذي أفتى سائله بجواز التعلق بأرواح الأموات!

فما أكثر من اغتر بأقوال من هو مثلُهُ ممن أخذ عن أرباب أهل البدع؟

فهلا أجبته بأقوال الصحابة والتابعين ، كالفقهاء السبعة وكالزهري والحسن وابن سيرين والحمَّادَين[1] والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والأئمة الأربعة وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد ومحمد بن نصر المروزي وابن جرير الطبري وأبي عمر بن عبد البر النمري صاحب «التمهيد» و «الاستذكار» ، وأمثال هؤلاء من أئمة الإسلام ، أهل العروة الوثقى ، فإنهم بحمد الله كثير في الأمة ، يعرفهم من له إلمام بالعلم والعلماء والفضل والفضلاء ، ومعاذ الله أن تجد في كلام هؤلاء وأمثالهم من يُجوِّز تعلق القلب والهمم والإرادات بغير الله ، سبحانه وتعالى وتقدَّس عن الشرك في الإرادات والنيات والأعمال.

ولو قيل لهذا المجيب: عَرِّفنا بشارح «المشارق» هذا ، ومن ذكره من المصنفين من أهل الجرح والتعديل ؛ لم يجد إلى ذلك من سبيل.

وعلى كل حال فليس في كلامه حجة ولا دليل ، فإن كلامه يُعرِّفُ بحقيقة حاله ، والحجة التي لا تُعارَض ولا تُدافَع إنما هي فيما قاله الله ورسوله ، وما كان عليه المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين قبل حدوث البدع وتشعب الأهواء واختلاف الآراء ، قال الله تعالى ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون * إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

---

١ أي حماد بن سلمة وحماد بن زيد.

ولا يخفى على من له دين وإلمام بالعلم النافع أن رسول الله ﷺ حَمى حِمى التوحيد ، وسدَّ كل طريق يُوصل إلى الشرك الأكبر والأصغر ، فقد ثبت عنه أنه لما قال له رجل: (ما شاء الله وشئت) ؛ قال: (أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده).[1]

وفي «المسند» عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر[2] ، فقال: ما هذه الحلقة؟

قال: هذه مِنَ الواهنة[3].

فقال: انزِعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً.[4]

فانظر إلى هذه العقوبة العظيمة لمن علَّق قلبه بحلقةٍ دون الله.[5]

وثبت عنه ﷺ أنه قال: من تعلق شيئاً وُكِل إليه.[6] أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة.[7]

---

١ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى» (10759) بلفظ: أجعلتني لله عِدلا.

ورواه البيهقي (٢١٧/٣) وأحمد (٢١٤/١) بلفظ: أجعلتني والله عِدلا؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قال محققو «المسند» ، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

٢ الصُّفر هو النحاس. انظر «المعجم الوسيط».

٣ الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد ، وقيل هو مرض يأخذ في العَضُد. انظر «النهاية».

٤ رواه أحمد (٤٤٥/٤) وابن حبان (٤٤٩/١٣) وابن ماجه (٣٥٣١) باختلاف في الألفاظ ، وإسناده ضعيف ، ضعفه الألباني ، ولكن المعنى صحيح ، وانظر ما بعده من الأحاديث.

٥ قال ابن الأثير في «النهاية»: إنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم.

٦ رواه الترمذي (٢٠٧٢) عن عبد الله بن عُكيم ، وأحمد في «مسنده» (٣١٠/٤ ، ٣١١) ، وصححه الألباني.

٧ لم يروه النسائي ، وإنما خرجه الترمذي وغيره كما تقدم.

ولأحمد عن عقبة بن عامر: من تعلق تميمة فلا أَتَمَّ الله له ، ومن تعلق ودَعَةً[1] فلا وَدَعَ الله له.[2]
وفي رواية: من تعلق تميمة فقد أشرك.[3]

ومن المعلوم أن التعلق بأرواح الأموات **أعظم شركاً من تعليق التمائم** ، وهذا لا يخفى على من له بصيرة في الدين ، فإن الفتنة بها أعظم والتعلق بها أشد ، والعبادة عبادة حيثما صُرفت ، فإن قُصِرت على المستحق لها – وهو الله – فهو التوحيد ، **وإن صُرِف منها نوع فأكثر لغير الله فهو شرك بالله** ، قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، والصحابة رضي الله عنهم قد تمسكوا بما علِموه من حال نبيهم ﷺ من تحقيق التوحيد وحمايته عن الشرك ، فقد ثبت عن حذيفة بن اليمان صاحب سِرِّ رسول الله ﷺ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى ، فقطعه وتلا قوله ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾.[4]

ومن المعلوم أن الشرك في عصر الصحابة رضي الله عنهم كان قليلاً جداً ، فإذا رأوا شيئاً منه أعظموه وأنكروه ، وحذيفة رضي الله عنه استدل بهذه الآية الكريمة على أن هذا شرك بالله ، فأين

---

١ الودَعة شيء أبيض يُجلب من البحر يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم تُستدفع به العين ، وهو محرم ، لأنه الله لم يجعله سببا شرعيا ولا كونيا.
(ومعنى لا ودع الله له) أي لا جعله في في دعة وسكون ، وقيل معناها لا خفف الله عنه ما يخافه. انظر «النهاية».

٢ رواه أحمد في «المسند» (١٥٤/٤) ، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٦/١) ، وأبو يعلى (٢٩٥/٣) ، والحاكم (٤١٧/٤) ، وصححه الذهبي ، وقال محققو «المسند»: حديث حسن.

٣ رواه أحمد في «المسند» (١٥٦/٤) ، والحاكم (٢١٩/٤) ، وقال محققو «المسند»: سنده قوي.

٤ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير الآية الكريمة من سورة يوسف : ١٠٦ ، وللأثر روايات أخرى ذكرها ابن بطة في «الإبانة» بأرقام (١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١).

هذا مما وقع فيه أكثر الناس اليوم من طلب النفع ودفع الضر من الأموات الذين لا إحساس لهم بما يطلبه الداعي منهم ، ولم يدفعوا عن أنفسهم[1] فضلاً عن غيرهم.

وأما التابعون للصحابة وأتباعِهم فإنهم سلكوا سبيل النبي ﷺ ، فإنهم أبدَوا وأعادوا في إنكار ما حدث من الشرك ، فقد ثبت عن سعيد بن جُبير رضي الله عنه أنه قال: (من قطع تميمة من إنسان كانت كعِدل رقبة)[2] ، فانظر إلى هذا التشديد من هذا الإمام في تعليق التميمة.

فأين هذا مما قرر المجيب جوازَه من التعلق بأرواح الأموات التي لا يَعلم مستقرَّها إلا الله ، ولا تنفع ولا تضر ، ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾.

وقد عرفت أن الإسلام لرب العالمين هو إسلام الوجه والقلب ، بإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقد أشرك بالله ، قال الله تعالى ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين * فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ الآيات.

---

١ أي لم يدفعوا عن أنفسهم الضر ، بحذف المفعول.

٢ أي: أجر ذلك كأجر عتق رقبة ، والأثر رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٠٣٢) من طريق وكيع عن الحسن عن علي رضي الله عنه ، وفي سنده انقطاع كما قال محقق كتاب «تيسير العزيز الحميد» ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

فياله من بيانٍ ما أوضحه ، وحجةٍ ما أقطعَها للشرك ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ ، ولقد أحسن من قال في بيان التوحيد ، أي توحيد الإلهية:

القصد وجه الله بالأقوال والأعمال والطاعات والشكران
فبذاك ينجو العبد من إشراكه ويصير حقا عابد الرحمٰن

وبهذا يُعلم أن الشرك بالله مسبةٌ لله وتنقُّصٌ له ورغبةٌ عنه إلى غيره ، وهضمٌ لربوبيته تعالى ، فعظَّم هؤلاء الجاحدون لتوحيد الله مخلوقَهُ وعبدَهُ ، بتنقصِهم لله تعالى ومسبتِهم له بزعمهم أن معبوديهم صالحون وأولياء ، فأنزلوهم بمنزلة الله وسلبوا لهم حقه ، والنبي والصالح حقُّهُ متابعتُهُ فيما هو فيه من التوحيد والعمل الذي صار به صالحاً ، فلم يقتدوا بهم في الدين ولا في العمل ، فأخذوا حقهم من الاقتداء بهم في الدين واتِّباعهم ، وصرَفوه لجُهَّال المتفلسفة ومن أَخذ عنهم ، كشارح «المشارق» وأمثاله من المحرفين.

(**الوجه السابع**): إن ما يُبيِّن خطأ المجيب وضلاله ، مع ما تقدم من الأوجُهِ ؛ ما أخرجه الترمذي بسنده عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ ، وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها وينوطون[1] بها أسلحتهم يقال لها ذاتِ أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

---

١ أي يُعلِّقون.

فقال لهم النبي ﷺ : الله أكبر ، إنها السُّنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ ، لتركبن سنن من كان قبلكم.[1]

وفي هذا الحديث من الفوائد أن التبرك بالأشجار ونحوِها شركٌ وتألُّهٌ لغير الله ، ولهذا شبَّهَ قولهم (اجعل لنا ذات أنواط) بقول بني إسرائيل ﴿اجعل لنا إلهاً﴾.

ومنها أن حقيقةَ الشيء لا تتغير بتغير الاسم.

ومنها خطر الشرك والجهل ، فكادوا أن يقعوا في الشرك لـمَّا جهِلوه ، فإذا كان هذا في عهد النبوة وإقبال الدين ؛ فكيف لا يقع بعد تقادم العهد وتغيُّر الأحوال واشتداد غربة الدين.

ومنها مشابهة هذه الأمة لأهل الكتاب فيما وقع منهم كما في الحديث الآخر: لتتبعُنَّ سنَنَ من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.
قالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟
قال: فمن؟[2]

فإذا تبين أن التعلق بالأشجار ونحوها عبادة لها من دون الله ووضع للعبادة في غير موضعها ؛ فلا فرق بين أن يُصرف لشجرة أو قبر أو غير ذلك.

---

١ رواه الترمذي (٢١٨٠) ، وصححه الألباني رحمه الله ، وقد نقل المؤلف الآية المذكورة وزيادة آيتين ولم أجدها في كتب الحديث ، فلم أنقلها ، لعلها خطأ في النسخ.

٢ رواه البخاري (٧٣١٩) ومسلم (٢٦٦٩) ، واللفظ الذي ذكره المؤلف: (حذو القذة بالقذة) ، بدل (شبرا بشبر وذراعا بذراع) ، وهو خطأ.

ومعلوم أن الشجر له حياة بحسبه ، مطيعٌ لربه ، يسبحُ بحمده ، وما عُبدت اللات والعزى ومناة إلا بمثل ذلك التعلق والاعتقاد ، قال مجاهد: اللاتُّ كان رجلاً صالحاً يلُتُّ السَّويقَ[1] للحاج ، فمات فعكفوا على قبره.[2]

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس.[3]

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء.[4]

فقد والله اشتدت غربة الإسلام ، حتى عاد الشرك بالله ديناً وقربة يُتقرب به إلى الله ، وهو أعظم ذنب عُصِيَ الله به ، كما قال تعالى ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ ، وقال ﴿إنه من يُشرِك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ ، وقال ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

(**الوجه الثامن**) أن هذا الذي أجازه هذا المجيب هو بعينه قول الفلاسفة المشركين ، فإنهم قالوا: إن الميت المعظَّم الذي لروحه قربٌ ومَزيةٌ عند الله لا تزال تأتيه الألطاف من الله ، وتَفيض على روحه الخيرات ، فإذا عَلَّقَ الزائر روحه به وأدناها منه ؛ فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ،

---

١ السَّويق طعام يُتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانسياقه في الحلق. انظر «المعجم الوسيط».

واللتُّ هو الجمع ، يقال لتَّ السويق بالسمن يلتُّه لتا ، إذا قرن بينهما في الخلط والجمع. انظر «تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

٢ انظره في تفسير ابن جرير لسورة النجم: ١٩ .

٣ رواه ابن جرير أيضا في تفسير هذه الآية.

٤ تقدم تخريجه في أول هذا الكتاب.

قالوا: فتمامُ الزيارة أن يتوجه الزائر بوجهه وقلبه وروحه إلى الميت ويعكف بهمته عليه ، ويُوجِّهُ قصدَه كلَّه وإقباله عليه ، بحيث لا يَبقى فيه التفاتٌ إلى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم ؛ كان أقرب إلى انتفاعه به وشفاعته له.

قال ابن القيم رحمه الله: وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عُباد الكواكب في عبادتها ، وقالوا: (إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاضَ عليها منها النور) ، وبهذا السِّرُّ عُبِدت الكواكب ، واتُّخذت لها الهياكل ، وصُنفت لها الدعوات ، واتُّخذت الأصنام المجسَّدة لها[1] ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعُباد القبور اتخاذها أعياداً ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطالَهَ ومحوَهُ بالكلية ، وسد الذرائع المفضية إليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ، وكان ﷺ في شقٍّ ، وهؤلاء في شق.

وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى ، قالوا: (فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته إليه ، وعكف بقلبه عليه ؛ صار بينه وبينه اتصال يُفيض به عليه مِنه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبَّهوا ذلك بمن يخدم ذا جاهٍ وحظوةٍ وقربٍ من السلطان ، فهو شديدُ التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال ينالُ ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به.

فهذا سِرُّ عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطالِهِ ، وتكفيرِ أصحابه ، ولعنِهِم ، وأباح دمائهم وأموالهم ، وسبى نسائهم وذراريهم ، وأوجب لهم النار.

---

١ أي التي على صورتها.

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم. انتهى.[1]

(قلت): وتأمل ما ذكره الله في سورة (يٰس) من قوله ﴿وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون * ءأتخذ من دونه آلهة إن يُردن الرحمٰن بضر لا تغنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون * إني إذاً لفي ضلال مبين﴾ الآية ، ففي هذه الآية العظيمة وما في معناها ما يكفي ويشفي في إبطال هذا المذهب الخبيث ، من تَعلُّقِ أهل الإشراك بغير الله ، وافترائهم على الله ، وإضلالهم للعباد عن توحيد الله والتوجه إليه وحده بالإخلاص الذي هو دينه الذي لا يرضى لعباده ديناً سواه ، كما قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾.

ففرَّق تعالى في هذه الآية بين دينه الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ، ودين هؤلاء المشركين الذي أنكره عليهم ، وأكذبهم فيما زعموه ، وأكفَرَهم بما انتحلوه واعتمدوه من الشرك العظيم الذي لا يحبه ولا يرضاه ، ويُنكره ويأباه ، كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب * إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ ، والأسباب هي الوَصْلُ والمودةُ التي كانت بين العابد والمعبود ، أخبر سبحانه أنها تتقطع يوم

---

١ «إغاثة اللهفان» ، ص ٤٠١ – ٤٠٢ .

القيامة ، ﴿وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منها كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾.

فهذا ما يؤول إليه أمر هؤلاء المشركين يوم القيامة.

ونظائر هذه الآية كثير في القرآن كقوله تعالى ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودةَ بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾.

فتأمل ما يؤول إليه أمر أهل هذه التوجهات والتعلقات بغير الله من كُفرِهم بمن تعلقوا عليهم ، ولعنِهم لهم ، وجزائِهم عند الله بعذاب النار ، وغيرِ ذلك مما أخبر به تعالى عن أحوالهم ، فلا شافع يشفع لهم ، ولا ناصر ينصرهم ، فعادت تلك التعلقات الشركية والهمم الشيطانية والأماني الكاذبة عليهم حسرة ووبالاً.

هذا ما تيسر تعليقه بحمد الله في هدم أصول هؤلاء المشركين ، وفيه الكفاية لمن نوَّر الله قلبه ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين ؛ محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليمًا كثيرا.[1]

---

١ انتهى كلامه رحمه الله ، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، المجلد الرابع ، ص ٣٨٣ – ٤٠٤ ، و «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٥/٩٦ – ١٢٥) ، وبينهما فروقات عديدة ، وقد أثبتُّ ما رأيته أليق بالسياق ، أما الأحاديث والنقولات العلمية فضبطتها أكثرها من مصادرها إن لم تكن كلها.